

جزئياً منذ زمن؛ وكان حلمهم أن ينشروا راياتهم فوق مجموع الأراضي الممتدة من «دجلة» إلى نهر «ستريمون» الذي وُلِدَ «الإسكندر» بالقرب منه. لكي لا تكون (المدائن) في يوم من الأيام مرحلة من مراحل «الإمبراطورية»، بل مركزها.

وفي هذا الوقت كانت (روما) متجهة بأسرها نحو «الشرق»، «الشرق» الذي كانت تتخذ منه وثناً وتؤله وتتوقع منه المجد والخلاص. وعلى هذا كانت ترفع إلى سدة الحكم قادة عسكريين قادمين من (الشام) أو من (جزيرة العرب)، وكان فلاسفتها القليلون يتلقون مبادئهم في (مصر)، وكانت المعتقدات التي تقبل بانتشارها هي معتقدات «أدونيس» و«هرميس المثلث العظيمة» [اسم أطلقه اليونانيون المقيمون في (مصر) على الإله «توت»] و«ميترا» (الهندي - الإيراني) و«شمس (أميز) التي لا تغلب» [«أميز» هي اليوم مدينة «حمص» السورية، وكانت مشهورة في ذلك الزمان بمعبد كبير تقام فيه شعائر عبادة الشمس]، بل وأبعد المعتقدات عن التوقع، معتقدٌ يهوديٌّ من أنصار العنف السياسي تمرد قديماً على (روما)؛ وفوق ذلك كانت تداعب مخيلة المسؤولين في (روما) منذ زمن فكرة إنشاء عاصمة ثانية لـ «الإمبراطورية» غير بعيد من (البحر الأسود)، عند ملتقى (أوروبا) بـ (آسيا)، في المكان الذي كانت تقوم عليه (بيزنطة)، عاصمة يكون لها شأن في قابل الأيام، وقد تجرأ بعضهم مسبقاً على تسميتها - يا للغرور الدنيس! - (روما) الجديدة.

من من القويين اللتين كانتا تتنازعان العالم كانت ستتصر يا ترى؟ لقد كان للموجة الساسانية حظوظها. فبينما كانت «السلالة الإلهية» تتوطد تحت شعار الملوك المؤسسين، كانت (روما) تتحلل في الفوضى. فطوال عهدي «أردشير» و«شاهبور» وحدهما توالى أربعة وعشرون «قيصراً» وكانهم يتناقلون مقبض خنجر ليكون لهم بمثابة صولجان. وبلغ الأمر بالمواطنين أن يجهلوا اسم عاهلهم لساعتهم، ولم تكن الفيالق تدري من تطيع؛ فما إن كانت «المدينة» تهتف لإمبراطور جديد حتى يكون محارب آخر قد ثار في بلاد (الغال) أو في (داسيا) أو حتى في (إيطاليا) نفسها. ولم تعد مياه نهر «روبيكون» تذكر أيام طهرها.